صاحب السمو الأمير مولاي هشام يرصد في حوار ل «الاتحاد الاشتراكي» التحولات التي تشهدها حاليا بلغراد

انهارت آخر ديكتاتوريات أوربا وما يحدث ثورة، تعبر عن إرادة الشعب

"انه انهيار آخر ديكتاتورية ورثتها أوربا من القرن العشرين. انهيار نظام ملطخ بدماء شعبه وبدماء كل الأعراق التي شكلت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يوغسلافيا الفيدرالية" هكذا لخص صاحب السمو الأمير مولاي هشام ما يحدث الآن في صربيا. وما تعرفه بلغراد من تحولات اثر انهيار نظام سلوبودان ميلوسوفيتش.

في الحوار التالي الذي أجرته معه جريدة "الاتحاد الاشتراكي" بالهاتف رصد سموه أبرز خلاصات ما يجري. انه ثورة، لكنها لم تكتمل ولم تتواصل وتذهب إلى نهايتها الطبيعية، لكنها دشنت لبداية مسلسل الدمقرطة نجم عن تعاقد بين جميع الأطراف وعكس ما عرفته بعض الدول بأمريكا اللاتينية التي كان التعاقد فيها يتوج مسلسلا يهدف إلى الانتقال السلمي للسلطة، فانه في بلغراد تولد أثناء غليان الشارع وثورته.

عن مستقبل ميلوسوفيتش يقول صاحب السمو: يجب أن يحاكم كمجرم حرب، وتأثير ما يحدث بالبلقان يرى أن النظام الجديد سيخفف من تواجد العسكر الصربي بمونتينغرو التي ستطرح ملف التوازن في العلاقات والتفاوض من أجل الانفصال.

المنطقة التي سيكون للتحولات الراهنة تأثير مباشر عليها هي إقليم كوسوفو الذي يتواجد صاحب السمو به في إطار بعثة الأمم المتحدة. وقد أكد أن الإطار الذي تتحرك فيه الهيأة الأممية هو القرار 1244 الذي ينص على السيادة اليوغسلافية على هذا الإقليم

أجرى الحوار: مصطفى العراقي

s

- بشكل عام كيف تنظرون صاحب السمو للتحولات التي تعرفها الآن بلغراد؟

■ ـ انه حدث مهم هذا الذي تعرفه يوغسلافيا منذ بداية الأسبوع، رأينا انهيار آخر ديكتاتورية ورثتها أوربا من القرن العشرين، انهيار نظام ملطخ بدماء شعبه. انها صفحة جديدة في تاريخ البلقان بزغت، وأقول انها المرة الأولى منذ عقود بل ومنذ قرون، هناك إمكانية استقرار بهذه المنطقة، بل في أوربا عموما.

إن كل نظام سلطوي يعرف مرحلة صعود وفترة استقرار، بعد ذلك تبدأ بنياته في التدهور بسبب التناقضات التي يخلقها والمشاكل التي ينتجها ويتجه حسب ديناميكية قوى المعارضة ومدى تأثيرها ونجاعتها، نحو بلورة مشروع جديد. ونظام ميلوسوفيتش دخل مرحلة التدهور بعد الحروب التي خسرها لكن انهياره تأجل وقتها بسبب تشردم القوى الديمقراطية وانشقاقاتها وضعفها، ومن جهة أخرى ان نظامه ـ كالكثير من الانظمة الديكتاتورية ـ بدأ يخلق فضاء انفتاح بالرغم منه للدفاع عن النفس، مثل اللجوء إلى اللعبة الديمقراطية، محاولا الالتفاف عليها وتلميع وجهه من خلالها، لكن في بعض الأحيان، هذه بدورها تولد في كثير من الأحيان عوامل الانهيار وتقوي عضدها.

وميلوسوفيتش منذ توليه رئاسة يوغسلافيا الفيدرالية، جنح إلى عدة مناورات وتبدلات وأدوات أشهرها في أوقات متعددة واستعملها من أجل البقاء في الحكم، لقد وطد نظامه في لحظاته الأولى وهو الآتي من الحزب الشيوعي السابق والمنحدر من النظام الذي كان يقوده. وانتقل إلى خطاب أسس به نظاما قوميا اشتراكيا خلط فيه بين الاشتراكية والقومية، وضم إلى صفه الكنيسة الارتوذوكسية التي لعبت دورا كبيرا في إضفاء الشرعية عليه.

كانت لديه القدرة على استعمال هذه الأدوات بقفازات قانونية كما حدث سنة 1996 حينما نازعه الشارع في نتائج الانتخابات المحلية، لكن السحر في أحيان كثيرة ينقلب على الساحر كما يقولون، فقد عمد إلى نفس

الحيلة هذا الأسبوع بدفعه المجلس الدستوري إلى الإعلان عن إلغاء الانتخابات الرئاسية التي جرت في 24 شتنبر الماضي، حتى يستغل التطورات ويتحكم في الوضع.

لماذا لم تعد المعارضة منقسمة؟ ! لأنها اختارت كوستنيتشا كمرشح لها، وجه جديد لم يشترك قط وبأي صفة مع النظام عكس جل قادة المعارضة الذين خرجوا لظروف وأسباب ما، من تحت عباءة النظام، وشكلوا أو انخرطوا في تنظيمات سياسية مناهضة له.

ولم يوحد كوستنيتشا تنظيمات المعارضة فقط، بل حشد وراءه الشارع لأنه بدا للصربيين الوجه المخلص ذا مصداقية في الخطاب، له عفوية التواصل، قومي، ديمقراطي. كان ضد تدخل الحلف الأطلسي وضرباته في ربيع 1999، يعارض تقديم ميلوسوفيتش أمام المحكمة الجنائية الدولية كمجرم حرب، يريد التقرب بل والانخراط في الديناميكية الأوربية، لكنه يرفض الهيمنة الأمريكية.. وهذه كلها عوامل أكسبته شعبية ووفرت له جاذبية.

ما حدث ويحدث اعتبره ثورة عبرت عن سيادة الشعب، ولكنها ـ في رأيي الشخصي ـ ثورة لم تكتمل. لم تتواصل وتذهب إلى نهايتها الطبيعية. إنها حلقة ومفصل لمسلسل الدمقرطة نجمت عن بعض عناصر التعاقد والتحالف، تعاقد بين جميع الأطراف، وهذا شيء رأيناه في تحولات شهدتها أمريكا اللاتينية. لأن الدمقرطة تأتي في بعض الأحيان نتيجة تحالف يهدف من خلالها النظام الخروج من الساحة لكنه يريد ضمانات لتأمين نفسه وهو خارج السلطة. أي يريد نوعا من الحصانة تقيه من المتابعة والملاحقة القانونية، والملاحظ ان تحولات في بلدان مثل البرازيل وفنزويلا أقدمت اطرافها السياسية على التعاقد قبل الانتخابات، وجاءت الانتخابات كتتويج لمسلسل هدف إلى الانتقال السلمي للسلطة. اما في بلغراد فالتعاقد تولد اثناء غليان الشارع وثورته بسبب ـ فيما يبدو ـ أن القوى الديمقراطية أرادت الوصول إلى السلطة بأقل ما يمكن من الاضرار من جهة، ومن جهة ثانية ان النظام الصربي اقتنع بأنه خسر الحرب (بعدما خسر كل معاركه) وفي نفس الآن يريد نوعا من الحصانة قبل ان يرفع أعلامه البيضاء. انه تعاقد أثناء ثورة الشارع وهو ما يمثل سابقة في العالم. وأذكر هنا بما حدث في الشيلي في بداية التسعينات حيث أجرى الجنرال بينوشي استفتاء جاءت نتيجته لغير صالحه، بل عبرت عن إرادة القوى الديمقراطية في التغيير مما اضطره إلى التعاقد مع المعارضة وغايتها كانت تحييد المؤسسة العسكرية.

وتعاقد من نوع تعاقد بلغراد من المحتمل ان تترتب عنه مشاكل عديدة. فالنظام الجديد سيجد نفسه في المدى القريب، يتعامل مع بقايا النظام القديم في الإدارة وفي الجيش والمؤسسات الإستراتيجية والحيوية .

- إني اطرح السؤال من جديد: هل ما حدث يعد ثورة ؟ !

■ **ـ أقول انها ثورة لأن عنصر الجماهير وغليانها وردود فعلها ومطالبها متوفر فيها، والمطلب المحوري لهذه الجماهير ـ بالإضافة إلى رحيل ميلوسوفيتش ـ كان هو الديمقراطية هناك فرق كبير بين ما عرفته تشيكيا وهنغاريا اللتان قامتا بثورات من أجل الرجوع إلى الديمقراطية مستندتين إلى تصور أكثر ليبرالية ويقترب من المفهوم الغربي. في صربيا، الجماهير لم تعش من قبل في ظل أي نظام ديمقراطي. وكوستنيتشا ليس هو فاكلاف هافل أو ألكسندر توبشيك اللذان استندا في تصوراتهما وبرامجهما إلى النموذج الليبرالي الغربي عكس (كوستنيتشا) الذي يستند إلى خطاب وبرنامج قومي إلى حد كبير وسيتبين لنا مدى صلاحية هذا القول حينما سيتطرق الرئيس للإصلاحات السياسية وإعادة تنظيم الاقتصاد.**

هل سيذهب الرئيس الجديد في إصلاحات هيكلية مباشرة أو غير مباشرة. كيف سيتعامل مع جمهورية مونتينيغرو التي تشكل بالإضافة إلى صربيا فيدرالية يوغسلافيا، وكوسوفو هل سيحترم ويدعم المسلسل الأممي بها؟ ! انها الأسئلة الأولى التي ستبحث عن الأجوبة العاجلة .

- هل كان هناك من خيار آخر. يجنب الرئيس الجديد التعامل مع بقايا نظام ميلوسوفيتش ؟ !

■ **ـ أرى ان المعارضة الصربية لم تكن تتوقع ان تصل إلى هذا الفوز بهذه السرعة. لقد قررت العصيان المدني لخوض معركة كانت تبدو طويلة وشاقة مع نظام متعنت وعنيد اعتاد على معارك تستهدف الإطاحة به.. لكن تسارعت الأحداث والتطورات بشكل مذهل فاجأ هذه المعارضة التي فيما يبدو أرادت، منطلقة من تحليلاتها وتقييماتها وتركيبتها ـ ان تتجنب إراقة الدماء وتحقق نصرها بأقل تكلفة ممكنة.**

لقد عرفت أوربا الشرقية منذ نهاية الثمانينات تحركات شعبية قادتها أو انخرطت فيها قوى المعارضة، حدث ذلك كما أسلفت في التشيك وهنغاريا. كما ذكرت من قبل وحدث في بلغاريا ورومانيا. ما عرفته بلغراد

شبيه في بعض جوانبه بما شهدته بوخاريست: غليان الشارع انبثق عنه نظام جديد، لكنه ظل يتعامل لأكثر من خمس سنوات مع بقايا نظام نيكولاي تشاوسيسكو.. ونفس الشيء من المرتقب ان تشهده يوغسلافيا إلا انه في الأخير سيتم التخلص من هذه البقايا.

- لماذا لم يتدخل الجيش لصالح ميلوسوفيتش وهو المؤسسة التي كانت دائما سنده وأداته في تنفيذ مخططاته؟!

■ - بالفعل، جاءت كل حروب البلقان في عقد التسعينات على يد هذا الجيش وبأوامر ميلوسفيتش ومن حزبه الاشتراكي. الجيش المؤسسة التي استعملها ميلوسوفيتش لخدمة إيديولوجية ومشاريع التطهير العرقي. لكن هذا الجيش لم يكن مسيسا، لذلك فضل البقاء في ثكناته ولم يتدخل. وأشير هنا إلى انه في الأنظمة الشيوعية والتي كانت تعتمد عموما على الحزب الواحد، قلما يكون الجيش مسيسا عكس أنظمة أخرى يلعب فيها الجيش دورا أساسيا ورئيسيا.

- أي مستقبل لميلوسوفيتش؟

■ - إنها علامة استفهام كبرى الآن. بالنسبة لي يستحيل أن يتم إعفاؤه من جرائم الحرب التي اقترفها طيلة حكمه.. لأنها جرائم ليست مرتبطة بالقانون المحلي انها تجتاز نطاق قانون البلد. لذا يجب محاكمته أمام المحكمة الجنائية الدولية ليكون عبرة ومثالا لكل الدكتاتوريين والأنظمة المحتملة التي ترتكب جرائم ضد الإنسانية. لكل من ينتهج التطرف كأسلوب سياسي تتولد عنه عواقب وكوارث ومآسي كما حدث في رواندا والبوسنة وكوسوفو.

وموقف فويسلاف كوستنيتشا من هذا الملف؟! هناك احتمال نسبي، الرئيس الجديد استعمل هذا الموضوع كورقة انتخابية حتى يسحب ما أمكن من الأوراق من يد ميلوسفتيش خلال الحملة الانتخابية لأنه كان يراهن على الحس القومي للصرب.

- ما تأثير هذه التحولات على منطقة البلقان؟!

■ - سيكون هناك تأثير مباشر أولا على مونتينيغرو، إذ من المنتظر ان تخفف بلغراد تواجدها العسكري بهذه الجمهورية التي تعد إلى اليوم شريكا في الفيدرالية اليوغسلافية وبالتالي سيتم إعادة النظر في العلاقات وتوازناتها، فمونتينغرو كانت تشتكي باستمرار من أن صربيا لا تتعامل معها الند للند في الإطار الفيدرالي.

والديناميكية الداخلية التي تبرز في هذه الجمهورية ستضغط نحو الانفصال في رأيي ولكن بتفاوض...

- وبالنسبة لكوسوفو؟!

■ - كما تعلمون فإن القرار 1244 الصادر عن مجلس الأمن في يونيه 1999 هو القرار الأم الذي يستند إليه مجهود المجتمع الدولي، انه ينص على السيادة اليوغسلافية على هذا الإقليم، ودون شك فإن التحولات التي تشهدها بلغراد ستعجل في الدخول إلى الوضع النهائي كما ينص على ذلك القرار. إن العوامل الجيواستراتيجية والإقليمية متوفرة الآن أكثر من أي وقت مضى، تبقى مسألة الترتيبات لبلورة أهداف ومادة القرار 1244...

وتحولات بلغراد لها تأثير مباشر على الحملة

- هل هذا يعني بان الاستقلال لم يعد خيارا؟!

- أكرر مرة أخرى أننا كبعثة للأمم المتحدة نعمل في إطار القرار 1244 الذي ينص على حكم ذاتي موسع. لكن مهما كان الأمر فيمكن القول بأن الوضع تغير ونتمنى أن نتجه بسرعة إلى إقرار وضع نهائي خاصة وأن رحيل ميلوزفيتش سحب ورقة سياسية وأزاح مبررا كانت تتعلل به بعض القوى السياسية بشان المفاوضات واستئناف الحوار. الآن هناك نظام له ملامح ديمقراطية ويتمتع بدعم وشرعية دولية. ومهما كان الحال فالكوسوفيون يشتركون في صياغة مستقبلهم أحرارا مرفوعي الرأس بكرامة ونضج وفي إطار القرار السالف الذكر..

كنت أعتبر ان انتخابات 28 أكتوبر هي الفيصل بين مرحلتين وهذا صحيح إلى درجه كبيرة، لكن أضيف اليوم فيصلا آخر هو سقوط نظام ميلوزوفيتش. إذن سنتحدث مستقبلا عما قبل الانتخابات وما بعدها وأيضا مرحلة ميلوسوفيتش وما بعد مرحلته .. وأتمنى أن تحدث المرحلتان الجديدتان القطيعة مع سابقتيها..

- ماهي بنظركم صاحب السمو، الأولويات التي يجب أن يعطيها الرئيس الجديد العناية في أيام حكمه الأولى كي يخلق أجواء ثقة بين بلغراد واثنياتها وجيرانها والمجتمع الدولي؟

■ **- في حدث مثل هذا الذي يشبه زلزالا في بلغراد تطرح نوعية الترتيب، ترتيب الأولويات، مثلا ينبغي على الرئيس الجديد ان يضم إليه ويحافظ على ذلك، كل القوى الحية بالبلاد. وأن يصيغ ميثاقا وطنيا عبر حوار شامل وديمقراطي ينبثق منه دستور يلتزم ويحتكم إليه الجميع، وان يجري استحقاقات انتخابية لتشكيل كل مؤسسات لإدارة الشأن العام... هذه بعض الأولويات ومقترح ترتيبها في رأيي الشخصي. وأشير هنا إلى أن إيجاد الترتيب وتوقيت إنجازه كجدول أعمال وتوفير الظروف لبلورته وتفعيل بنوده هو في غاية الأهمية. فإذا لم نحسن الترتيب تبرز احتمالات الانزلاق.**

- وفي مرحلته الأولى كيف لكوشتنيكا ان يدير ويتعامل مع التحالفات الانتخابية التي دعمته للوصول إلى الرئاسة؟ !

■ **- إن المعارضة الصربية لها تاريخ عريق في الانقسامات، وهذا كان أحد عوامل ضعفها وعدم إنجازها للحظات تاريخية في مسار مجتمعها. الآن وقد توحدت هذه المعارضة وراء كوستنيتشا، فعلى الطرفين أي الرئيس والتحالف الحفاظ على هذا الإنجاز وتوفير كل عوامل استمراره، ولن يتأتى ذلك سوى بالتحكم في الأولويات وفي الترتيب. . .**

- بالنسبة لروسيا، ما هي الورقة التي تلعبها الآن في البلقان، وما هي خلفيات زيارة مبعوث الرئيس بوتين إلى بلغراد؟ !

■ **- ليست روسيا وحدها، هناك عدة دول تتحرك الآن بالبلقان، دول لها علاقات تاريخية مع صربيا مثل فرنسا واليونان، فاليونان لها نفس الديانة، أما روسيا فحليف تقليدي بالإضافة إلى أن هناك قاسما مشتركا كبيرا يتمثل في انهم سلافيون وأرثوذكس.**
إني لا أحب مصطلح «لعب الأوراق» إنها تعزز مواقعها الإستراتيجية بالمنطقة.

- هل هناك اتصالات بين البعثة والنظام الجديد؟

■ **- لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال، لكن يمكن أن أقول إن البعثة تقوم بما يلزم لتنفيذ مثالي للقرار 1244. انها تبذل قصارى جهدها، أقصى جهدها لضمان تنفيذ سليم لهذا القرار.**